تأثير جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال

د . محمد مصباح صالح
كلية التربية جنزور- جامعة طرابلس

د . فتحي علي ملوق
كلية التربية جنزور- جامعة طرابلس

د. محمود سالم عبد الجواد
كلية التربية جنزور- جامعة طرابلس

ملخَّص:

تُعدّ جماعة الأقران النافذة الأولى التي يطل خلالها الأطفال على الحياة الاجتماعية بشكل مستقل عن إطار الأسرة، وذلك بما تحقِّقه لهم من علاقات اجتماعية قائمة على التجانس والتكافؤ بين أعضائها، ويكتسب الأطفال خلالها مجموعة من الأنماط السلوكية، ويتوقَّف نوع هذا النمط على نوع هذه الجماعات وطبيعة العلاقات والروابط القائمة بين أفرادها.

ويستمر الدور الذي يقوم به الأقران في عملية التنشئة إلى المراحل العمرية التالية للطفولة، حيث يتيح الأقران للطفل فرصة تعلم الكيفية التي يتفاعل بها مع زملائه، وفرصة ممارسة الضبط الذاتي للسلوك، كما يتيحون له أيضاً فرصة الوقوف على المهارات والاهتمامات الملائمة له ولعمره، وتسهم وظيفياً في إعداد الأطفال للمشاركة في الحياة الاجتماعية.

ويتوقف مدى تأثير الطفل بأقرانه على ولائه لها، ومدى تقبُّله لمعاييرها وقيمها واتجاهاتها، وعلى تماسك هذه الجماعة، ونوع التفاعل القائم بين أعضائها.

إنَّ أثر جماعة الأقران في التنشئة الاجتماعية لا يقل أهمية عن دور المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالأسرة والمدرسة، ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية، وغيرها من المؤسسات الاجتماعية والتربوية، بل قد يتعدَّاها في بعض الأحيان لما لها من دور إيجابي وسلبي على التنشئة، وأنَّ شخصية الطفل لا تتكوَّن من فراغ، وتترك دون تنشئة وتوجيه لتتلقَّاه رفاق السوء وتقوده إلى الانحراف والجريمة حتى يصبح الانحراف

من طباعهم وعادة متأصلة من عاداتهم، ويصعب بعد ذلك تقويمه وتخليصه من هذا الانحراف، إلا أنَّنا في مجتمعنا قد لا نعير لجماعة الرفاق هذا الاهتمام؛ لانشغالنا في متاعب الحياة، أو لتجاهلنا لأهميتها أو لعدم معرفتنا لدورها المهم في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي النمو النفسي والاجتماعي للأطفال.

ومن هذا المنطلق آثرنا أنْ يكون هذا البحث (تأثير جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال)، ونحاول أنْ نقف على هذا الموضوع بكل دقة وتفصيل لدراسة معنى التنشئة الاجتماعية وخصائصها وأهدافها، وأهمية جماعة الرفاق وأهميتها في التنشئة الاجتماعية للأطفال، وأهم الخصائص التربوية لجماعة الرفاق، والأبعاد الاجتماعية الناتجة عن هذه الجماعة لما لها من دور إيجابي أو سلبي على التنشئة الاجتماعية للأطفال، وفي حاجة ماسة لتوضيح أهمية وتأثير جماعة الرفاق، وأنَّها لا تقل أهمية عن باقي المؤسسات الأخرى بل تتعدَّاها في بعض الأحيان.

المقدمة:

كلما كبر الطفل اتسع أمامه المجال الاجتماعي، فلا تبقى الأسرة وحدها محور التفاعل، بل يمتد هذه المجال إلى علاقات خارجية تنشأ بينه وبين أقرانه، وتتميَّز صداقات الأطفال بالاتساع والسطحية، أمَّا صداقات المراهقين فتتسم وتتميَّز بالعمق والثبات النسبي[1].

لذلك تقوم جماعة الرفاق بدور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي النمو الاجتماعي للفرد، فهي تؤثر في معاييره الاجتماعية، وتمكِّنه من القيام بأدوار اجتماعية متعدِّدة في المجتمع، وهذه الجماعة تقوم على المودة، ولها قيم مشتركة أو مستويات أساسية للسلوك، ويتميز الاتصال بين أعضائها بأنَّه واضح وشخصي ومباشر، وقد يميل الطفل إلى قضاء معظم وقته في صحبة هذه الجماعة، أكثر ممَّا يميل إلى قضاء معظم وقته مع والديه، وكافة أفراد أسرته.

ويشترك أعضاؤها في كثير من النشاطات، كما تعد شخصية كل فرد فيها متداخلة، وفي علاقة مع أعضاء الجماعة الآخرين، وقد أعدت هذه الجماعات أولية؛

لأنَّها تمارس التأثير الأولي أو المبدئي العميق على الفرد، خلال عملية التنشئة الاجتماعية ونمو شخصيته[2].

وذلك يعني دخول الطفل في علاقات اجتماعية مع أطفال آخرين متكافئين له، الأمر الذي يساعده على تذوق طعم الإحساس بالمسؤولية، وينمّي لديه إحساس الثقة بالنفس، والقدرة على المشاركة في نشاط اجتماعي بناءً على قدراته وكفاءته الخاصة، وعندها تبدأ مرحلة الفطام الاجتماعي لديه في انتمائه إلى هذه الجماعات[3].

ومن العوامل الكثيرة التي تؤدي إلى انحراف الأطفال، رفاق السوء والمرافقة غير المدروسة، قد ينتج عنها اكتساب عادات وتقاليد خاطئة، والاتجاه إلى الانحراف، ويصبح السلوك غير المرغوب وغير المقبول في مجتمعهم، هو سلوكهم نتيجة لعدم اختيارهم الرفقة الصالحة، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم، وأدب رفيع، وعادة فاضلة[4].

وهذا لا يعني منع الأطفال من مخالطة جماعة الرفاق، وإنَّما تكون المخالطة والتفاعل وفق متابعة، وتوجيه من أسرتهم ومعلميهم لاختيار الجماعة المناسبة لهم، والتي تتفق مع رغباتهم واهتماماتهم وقيمهم وتنشئتهم، وأهداف مجتمعهم وفلسفته.

وهذا ما حدا بنا أنْ يكون هذا البحث **(تأثير جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال)**، إذ يحاول البحث أنْ يقف على تفاصيل هذا الموضوع بدقةً تامة، بهدف تقديم قراءة اجتماعية خلال معرفة أهم المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالبحث، والنظريات المفسِّرة للتنشئة الاجتماعية، والوصول إلى أهم النتائج والتوصيات، وإيجاد حلول وقائية وعلاجية.

مشكلة البحث:

لجماعة الرفاق دور لا يقل أهمية عن باقي المؤسسات الاجتماعية الموجودة في المجتمع، على عملية التنشئة الاجتماعية، وفي النمو الاجتماعي للطفل بصفة عامة، ومن حيث تأثيرها في تنشئته تنشئة اجتماعية سليمة في مرحلة الطفولة بصفة خاصة، فهي تؤثر في قيمه وعاداته وسلوكياته ومعاييره الاجتماعية، وتمكِّنه من القيام بأدوار اجتماعية متعدِّدة، لا تتيسر له خارجها، فأثر جماعة الرفاق كبير على سلوك

الطفل، قد يفوق أثر الأسرة والمدرسة، ويتوقَّف مدى تأثر الطفل بهذه الجماعة على درجة ولائه لها، ومدى تقبُّله معاييرها وقيمها واتجاهاتها، وعلى تماسك هذه الجماعة، وكذلك على نوع الجو الاجتماعي السائد فيها، ونوع التفاعل القائم بين أعضائها، حيث يستطيع الطفل اكتساب مهارات التفاعل المثمر من خلال محاكاته لرفاقه، والذين يشكِّلون قوة اجتماعية تدفعه إلى تعديل سلوكه في ظروف معيَّنة، كذلك تتيح له فرصة حل مشكلاته الشخصية، وفرصة الضبط الذاتي للسلوك، كما يتيحون له أيضاً فرصة الوقوف على القيم والاتجاهات والمهارات والاهتمامات الملائمة له ولعمره.

وتتوقَّف قوة وعلاقة التأثير بين جماعة الرفاق على سمات شخصية الطفل وتكوينه وتنشئته في أسرته، وكذلك على البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وعلى خلفياتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها، والتي من خلالها يكتسب خبرات حياتية مهمة، تساعد أو تؤثر سلباً، أو إيجاباً على نموه ونضجه وقدرته على التصرف في مواقف الحياة المختلفة، وكذلك يؤثر رفاق السوء الذين يتسم سلوكهم بالانحراف واكتساب سلوكيات خاطئة، تخالف أهداف وفلسفة وقيم المجتمع على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل.

ومن هذا المنطلق فموضوع هذا البحث يتركَّز في محاولة معرفة تأثير جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرُّف على الخصائص التربوية لجماعة الرفاق، والآثار والأبعاد الاجتماعية الناتجة عن هذه الجماعة، لما لها من دور إيجابي وسلبي على التنشئة الاجتماعية للأطفال، من أجل الوصول إلى حلول مقترحة للاستفادة من هذه المؤسسة في عملية التنشئة.

أهمية البحث:

تُعدُّ أهمية البحث في التعريف بأثر جماعة الرفاق على عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، والآثار المترتبة على عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال وخطورتها على مستقبلهم، ومحاولة اقتراح بعض الحلول للاستفادة منها في نجاح عملية التنشئة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنَّه يتناسب وطبيعة البحث الحالي، الذي يهدف إلى جمع المعلومات الدقيقة؛ للوصول إلى نتائج علمية عن موضوع البحث، من ثم العمل على تفسيرها وتحليلها بطريقة موضوعية من أجل الوصول إلى نتائج علمية، تسهم في حل مشكلة هذا البحث.

أدوات جمع البيانات:

اعتمد البحث في جمع أدبيات موضوع البحث على الأسلوب المكتبي ، وذلك للإلمام بجمع متطلبات البحث الحالي نظرياً ، حيث تم الاطلاع على الجانب المعرفي من الكتب والدراسات والأبحاث والرسائل العلمية ، ذات الصلة بموضوع البحث .

أولاً: مفاهيم ومصطلحات البحث :

1. التأثير :هو العملية التي يتم بمقتضاها إضافة معلومة أو تعديلها أو إلغاؤها أو تعزيزها لدى الفرد في زمن محدد وفقاً لآلية محددة[5].

2. جماعة الأقران : هي كل جماعة تتكون من أشخاص متساويين بالاستناد إلى معايير متجانسة في العمر والسمات الشخصية والجنس والوضع السكني والاجتماعي[6] .

3. جماعة الرفاق :تعد جماعة الرفاق من جماعات الدوافع الشخصية التي ينتمي إليها الفرد لمقابلة حاجاته الذاتية وإشباع رغباته الشخصية، وهي تتكون تلقائياً بسبب

عوامل البيئة وميل الإنسان بطبيعته إلى التجمع، وينتمي الفرد إلى هذه الجماعة برغبته واختياره وتكون عضويته فيها مرتبطة برغبته بالبقاء أو الانسحاب منها[7].

4. الجماعة المرجعية: وهي الجماعة التي ينسب إليها الفرد سلوكه الاجتماعي ويقومه في إطار معاييرها وقيمها واتجاهاتها وأنماط سلوكها المختلفة[8].

وتعرف كذلك بأنها: تلك الجماعة التي يؤدي فيها الفرد أحب الأدوار الاجتماعية إلى نفسه وأكثرها إشباعاً لحاجته، والفرد – من وجهة نظره – يشارك أعضاء الجماعة المرجعية الدوافع والميول والاتجاهات ويشاركهم قيمهم ومعاييرهم ومثلهم ، وهكذا يعد الفرد الجماعة المرجعية جماعته وتعد معاييرها معاييره[9].

5. جماعة اللعب: تتكون تلقائياً بهدف اللعب واللهو غير المقيد بقواعد أو حدود، وتبدأ في التكون فيما بين سن الثالثة والرابعة، ويطلق مصطلح جماعة اللعب عادة على جماعات الأطفال في فئة السن المبكرة، حيث يبدأ الطفل في تكوين صداقات مع الأطفال الآخرين الذين يختلط بهم ويلعب معهم. ويتقبل الطفل اللعب الجماعي في شيء من التحفظ ولكنه يميل ميلاً شديداً إلى اللعب الانفرادي الذي يتسم بالخيال[10].

6. التنشئة الاجتماعية: عملية اجتماعية تعمل على تكامل الفرد في جماعة اجتماعية معينة، وذلك عن طريق اكتسابه ثقافة الجماعة، ودوراً يؤديه في هذه الجماعة[11].

كما يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية: تلك العملية التي يكتسب الإنسان من خلالها إنسانيته، بمعنى قيمه ومثله ومعاييره وعاداته وتقاليده والنظم والقواعد والقوانين واللغة والدين السائدة في المجتمع ، حيث يستقيها وتصبح جزءً لا يتجزأ من كيانه الشخصي[12] .

بمعنى أنها العملية التي يتحول من خلالها الفرد من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن إنساني، بإتباع وتعلم كافة المعايير والقيم والأدوار والاتجاهات النفسية والاجتماعية التي تتناسب مع فلسفة وأهداف مجتمعه.

7. الطفولة :لقد عرفت حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي المنعقد في بيروت عام (1970م) الطفولة بأنها: "الفترة الزمنية التي تبدأ من الميلاد إلى الخامسة عشر أو السادسة عشر أو السابعة عشر"[13] .

ثانياً: معنى التنشئة الاجتماعية وخصائصها:

يشير مفهوم التنشئة الاجتماعية إلى العملية التي بموجبها يتحول الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي بفعل المدخلات التي تحدثها آليات التنشئة الاجتماعية المختلفة في الوليد البشري أثناء تفاعله مع استعداداته الفطرية الكامنة فيه بحيث تنتج في النهاية تغييرات نفسية واجتماعية وأخلاقية وعاطفية ينتج عنها شخصية متزنة[14].

وبهذا فإن التنشئة الاجتماعية من خلالها يتلقى الطفل أنماط التفكير والسلوك بواسطة أعضاء الجماعة الذين تقع عليهم مسؤولية صياغة وصهر سلوكه وتعديله .

وتعدّ عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة لا تقتصر على السنوات الأولى من عمر الإنسان، إذ أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة مستمرة تبعاً للموقف الجديد التي يتعرض لها طول حياته، ومعنى ذلك أن عمليات التفاعل ليس لها نهاية، مما يترتب عليه أن لا تكتمل عملية التنشئة الاجتماعية على الإطلاق، ولا تبقى الشخصية ثابتة أبداً، إذ أن الفرد ينمو باستمرار ويكتسب اتجاهات جديدة نحو كافة الأفراد المحيطين به[15].

وتهدف التنشئة الاجتماعية إلى إكساب الأفراد في مختلف مراحل نموهم، أساليب سلوكية معينة تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع حتى يتحقق لهؤلاء الأفراد التفاعل والتوافق في الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه[16].

ومن خلال التنشئة الاجتماعية يتلقى الطفل خبرات يومية من خلال علاقاته بجماعة الأسرة وجماعة المدرسة وجماعة اللعب والأقران ويتلقى أثناء ذلك من هؤلاء العقاب والثواب والحب والتهديد، وكذلك من خلالها يتم التوفيق بين دوافع ورغبات الفرد الخاصة وبين مطالب واهتمامات الآخرين والتي تكون متمثلة في البناء الثقافي الذي يعيش فيه الفرد[17].

إضافة إلى ما تقدم فإن عملية التنشئة الاجتماعية تساعد وتعلم الفرد بالقيام بكافة الأدوار المطلوبة منهم ،لهم ولمجتمعهم، من أجل المحافظة على تحقيق واستقرار واستمرار المجتمع.

وتتضمن عملية التنشئة الاجتماعية بجملة من الخصائص هي[18]:

1. عملية تعلم واكتساب اجتماعي يتعلم فيها الطفل عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية .
2. عملية تحقق للفرد بُعده الاجتماعي .
3. عملية دائمة ومستمرة تبدأ من المهد وتستمر حتى الشيخوخة .
4. عملية دينامية تشتمل على جدل التفاعل بين الفرد والمجتمع .

ثالثاً: أشكال التنشئة الاجتماعية وأهدافها[19]:

للتنشئة الاجتماعية شكلان رئيسان هما:

1. التنشئة الاجتماعية المقصودة: يتم هذا النمط عن طريق الأسرة والمدرسة حيث يتعلم الأبناء اللغة وآداب الحديث والسلوك والمعايير والاتجاهات عن طريق الأسرة، كما أن التعلم المدرسي يكون تعليماً مقصوداً يعمل على تربية الأفراد وتنشئتهم .
2. التنشئة الاجتماعية غير المقصودة: يتم هذا النمط عن طريق المسجد ووسائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وما إلى ذلك حيث يتعلم الفرد المهارات والأفكار والمعايير الاجتماعية والاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره والنجاح وعدم التوفيق والتعاون وتحمل المسؤولية .

ومن أبرز الأهداف التي تسعى التنشئة الاجتماعية لتحقيقها:

1- اكتساب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك وتوجهه .
2- تعلم الأدوار الاجتماعية .
3- اكتساب المعرفة والقيم والاتجاهات وكافة أنماط السلوك .
4- اكتساب العناصر الثقافية للجماعة بحيث تصبح جزءاً من تكوينه الشخصي .

5- تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي .

6- اكتساب العادات والتقاليد السائدة في المجتمع والتدريب على أساليب إشباع الحاجات .

7- اكتساب القدرة على توقع استجابات الآخر نحو سلوكه واتجاهاته .

رابعاً: الأطر المرجعية المفسرة لنظرية التنشئة الاجتماعية واتجاهاتها:

هناك عدة نظريات تحاول أن تفسر العملية التي تحدث بها التنشئة الاجتماعية ، وسوف يتم الحديث عن هذه النظريات بإيجاز وهي كما يلي :

1. نظرية الدور الاجتماعي : وترى هذه النظرية[20]:

أ. إن لكل فرد مكانة (مركزاً)، اجتماعياً يتناسب مع الدور الذي يقوم به بأدائه، ويكتسب الطفل مكانته ويتعلم دوره من خلال تفاعله مع الآخرين، وخاصة الأشخاص المهمين في حياته، كالأب والأم والذين تربطهم بهم ارتباطاً عاطفياً، ويتم تعلم الدور قصدياً أو عرضياً.

ب . إن ارتباط المركز الاجتماعي بالأدوار الاجتماعية يساعد على تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع.

ج . إن الأفعال السلوكية المصاحبة للمراكز الاجتماعية، والتي تأخذ نمط الأدوار الاجتماعية يتعلمها الفرد ويكتسبها بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية .

ولكن يؤخذ على هذه النظرية أنها ركزت على الجانب الاجتماعي في عملية التنشئة الاجتماعية ، في حين أغفلت الجانب النفسي .

2. نظرية التفاعل الرمزي: وملخص هذه النظرية[21]:

أ . يشير التفاعل الرمزي إلى طبيعة التفاعل الذي يحدث بين الكائنات البشرية، والتفاعل الذي يحدث بين الناس يكون من خلال الرموز والإشارات وتعابير الوجه.

ب . تعتمد الكائنات البشرية على استجاباتهم للمعنى الذي ينسبونه لتلك الأفعال، وهكذا فإن التفاعل البشري يتم بواسطة استخدام الرموز .

ج . الفكرة الأساسية لنظرية التفاعل الرمزي هي النظر إلى جماعة الرفاق على أنها وحدة من الفاعلين الذين يعيشون في بيئة رمزية خاصة وهي جماعة الرفاق، وفي بيئة أخرى عامة وهي المجتمع المحيط بهم، وفي ضوء هذه التفاعلات التي تحدث من خلال الرموز تسهم بشكل كبير في عمليات التنشئة الاجتماعية وتحدد سلوكيات الجماعة الداخلية والخارجية .

3. نظرية التعلم الاجتماعي: وترى هذه النظرية[22]:

أ . إن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم، لأنها تتطلب تغييراً أو تعديلاً في السلوك ناتجاً عن الخبرات والممارسات المعينة، ويتحقق هذا التعلم سواء كان مقصوداً أو غير مقصود، والتنشئة باعتبارها عملية تعلم فإنها تسهم في قدرة الفرد على أن يقوم بأدوار اجتماعية معينة.

ب . إن مبادئ التعلم مثل التعزيز، العقاب، التعميم، الترميز، جلها تؤدي دوراً أساسياً وحيوياً في عملية التنشئة، ويؤدي التقليد في التعزيز أهمية كبرى في عملية التعلم.

ج . التنشئة الاجتماعية وفق هذه النظرية توصف بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد في كافة مراحل حياته سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق معها، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية[23].

د . التنشئة الاجتماعية عملية تعلم يتاح للفرد فيها فرصة التفاعل الاجتماعي مع الآخرين خلال مواقف وأدوار متعددة فيكتسب الفرد الكثير من الخبرات والاتجاهات النفسية[24].

4. النظرية البنائية الوظيفية: وملخص هذه النظرية[25]:

أ . تشبيه المجتمع بالكائن الحي من حيث التركيب والأداء الوظيفي .

ب . تؤكد على المنفعة والقيم الجمعية لضمان التوازن والتكامل في الوقت نفسه داخل المجتمع.

ج . عملية التنشئة الاجتماعية وفق هذه النظرية يتعرض الفرد من خلالها لعمليات الضبط والامتثال التي تساعده على التوافق مع الجماعة التي ينتمي إليها، بما يضمن تحقيق التوازن الاجتماعي للجماعة.

خامساً: جماعة الرفاق وأهميتها:

إن جماعات الرفاق تشكل مؤسسات حقيقية للتنشئة الاجتماعية، وهي تتيح للأطفال اكتساب القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد، وفق التجربة الشخصية لكل من أعضائها، كما تتيح لهم اكتساب أنماط متقدمة من التفاعل الاجتماعي الذي لا توفره لهم الأسرة[26].

وتعد جماعة الرفاق من الجماعات غير الرسمية التي تقوم بوظائف هامة من حيث تأثيرها على أعضائها وتوجيههم بحيث يكتسب العضو عن طريقها كثيراً من الاتجاهات وأنماط السلوك أي بعض سمات شخصيته الاجتماعية، حيث تقوم جماعة الرفاق بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية وفي النمو النفسي والاجتماعي للفرد .فهي تؤثر في معاييره الاجتماعية وفي قيمه وعاداته واتجاهاته وطريقة تعامله مع أقرانه، وتمكنه من القيام بأدوار متعددة لا تتيسر له خارجها[27].

وترجع أهمية جماعة الرفاق كذلك إلى أنها تعلم الطفل كيف يختار أصدقاءه، وكيف يتفاعل معهم على أساس وجود نوع من المساواة بينه وبين أعضاء الجماعة.

وتتميز جماعات الرفاق عن الجماعات الأخرى ببعض الخصائص الأساسية وهي[28]:

1. التجانس العمري حيث ينتمون إلى فئة عمرية واحدة.
2. تميل إلى التشكّل على أساس الجنس الواحد (ذكور أو إناث).
3. تتصف بأنها جماعة أساسية (مرجعية)، يتم التفاعل بين أعضائها بشكل مباشر.
4. إنها جماعات صغيرة يتميز عدد أفرادها بالمحدودية.
5. تتكون على نحو عفوي، بحكم الجوار ، والسكن والانتماء المدرسي، أي أنه لا يوجد تنظيم مسبق يعد لنشوء وتكوّن مثل هذه الجماعات، بالتالي فإن وجودها

مرهون إلى حد كبير بوجود الأطفال الذين تتاح لهم فرصة الاحتكاك والتفاعل بمحض المصادفة.

سادساً: الخصائص والأسس التي تقوم عليها جماعة الرفاق:

تمتاز جماعة الرفاق ذات الأثر في عملية التنشئة الاجتماعية بما يلي[29]:

1. تقارب الأدوار الاجتماعية بين أعضائها.
2. وضوح المعايير السلوكية لها.
3. وجود اتجاهات مشتركة وقيم عامة متماثلة.

وكل ما سبق من خصائص يتيح تفسير سلوكها والتنبؤ به أو توجيه.

الأسس التي تقوم عليها جماعة الرفاق:

1. تقارب السن وتشابه الميول وتجاور السكن.
2. الذكاء والاتجاهات والمركز الاجتماعي المشترك.
3. إشباع الحاجات المباشرة لأفرادها.

الأسس التي يُقبل على أساسها الفرد في جماعة الرفاق:

1. مدى مسايرته لما تتعارف عليه من قيم واتجاهات وسلوك عام .
2. اتصافه بالمودة والتعاون واللطف والاستعداد لبذل العون وضبط النفس والأمانة والولاء.
3. تحمسه وإتقانه لبعض المهارات الرياضية والمواهب الخاصة وعنايته بملبسه وتأدبه في معاملة الناس .

سابعاً: الخصائص التربوية لجماعة الرفاق يمكن تحديدها فيما يلي[30]:

1. تتيح جماعات الرفاق بمختلف مستوياتها للأطفال فرصة التفاعل الاجتماعي في وسط متكافئ حيث يكون أعضاء الجماعة متجانسين في العمر والإمكانات وهذا ما لا يتاح لهم في وسط الأسرة .
2. تحقيق مبدأ الاستقلال عن الأسرة وعن الوالدين وتنمي عند الطفل الإحساس بالمسؤولية وتولد لديه النزعة إلى المبادرة والفعل .

3. تسمح للطفل بالابتعاد عن الرقابة الأسرية وعن تدخل الراشدين المستمر وهي بذلك تتيح للطفل إمكانية التجريب الواسعة لإمكاناته وفرص تحقيق الذات .

4. تحقق عملية التواصل التربوي بين الأسر المختلفة حيث لا يكتفي الطفل بخبرة أسرته التربوية والاجتماعية بل يستطيع أن يتعلم قيماً جديدة تتيح من أوساط أسرية مختلفة ينقلها الأطفال معهم إلى حيز ألعابهم واهتماماتهم المختلفة في إطار الجماعة.

5. تعمل على تنمية قدرة الأطفال على تنمية اتجاهاتهم وميولهم وخبراتهم واهتماماتهم.

6. تساعدهم على اكتساب الأدوار الاجتماعية المختلفة مثل دور القيادة والتبعية، والمعارضة والمسايرة.

7. تساعدهم على اكتساب قيم جديدة مثل الواجبات والحقوق التي تتصل بالذات والآخر ، كما أنها تؤكد على أهمية الاعتراف بحقوق الآخرين وحرياتهم.

ثامناً: أساليب التنشئة الاجتماعية في جماعة الرفاق[31]:

1. الثواب الاجتماعي والتقبل عندما يتفق العضو في سلوكه مع معايير الجماعة وقيمها مما يعزز هذا السلوك ويدعمه، وذلك من خلال منح بعض أعضائه احتراماً وتقديراً خاصاً.

2. العقاب والزجر والرفض الاجتماعي في حالة مخالفة العضو في سلوكه لمعايير الجماعة مما يكف هذا السلوك ويطفئه، ويتمثل هذا العقاب بالاستهزاء أو المقاطعة أو حتى النبذ والاستبعاد .

3. تقديم نماذج سلوكية يتوحد معها بعض الأعضاء.

4. المشاركة في النشاط الاجتماعي وخاصة اللعب مما يتيح فرصاً للتعلم الاجتماعي، وعن طريق اللعب في جماعة الرفاق يبدأ الطفل بالتعرف على القواعد والقوانين والحقوق والواجبات.

تاسعاً: جماعة الرفاق والتنشئة الاجتماعية:

تبدأ جماعة الأقران في التكوين مند السنوات الأولى (الثالثة والرابعة من العمر) تتيح للأطفال عملية التفاعل الاجتماعي، وبناء الصداقات الاجتماعية. ومن سمات هذه الجماعات أنها تستمر في حياة الفرد من مرحلة الطفولة الأولى إلى المراهقة إلى الحياة الجامعية إلى العمل، وتأخذ هذه الجماعات تسميات مختلفة حسب المرحلة التي تمر بها، فمثلاً تسمى رفاق الطفولة والمراهقة ورفاق الجامعة والعمل والنادي والجماعات الرياضية والعلمية وهكذا، وجميعها تسهم في إعداد الفرد وتعلمه ونموه عبر مراحل زمنية متلاحقة[32].

وتعد جماعة الرفاق من أهم المؤسسات التي تتيح للطفل حرية واسعة في مجال تحقيق الهوية واكتشاف الذات، وغالباً ما ينظر إلى جماعة الرفاق والأقران بوصفها جماعات لهو وتسلية عند الأطفال، ولكن لابد من التأكيد على أهمية هذه الجماعات وعلى الدور التربوي الذي تؤديه في إعداد الأطفال وتنشئتهم فكرياً وانفعالياً[33].

وفي هذا الصدد يؤكد **محمود السيد:** أن الطفل يستقي بعضاً من جوانب ثقافته من أقرانه، إذ أنه يحاكيهم في تصرفاتهم وسلوكياتهم، وتكون هذه المحاكاة إيجابية أو سلبية، فهي إيجابية إذا كان سلوك أقرانه إيجابياً، وهي سلبية إذا كانت المحاكاة تقتصر على السلوك غير المرغوب فيه، وكثير من العادات التي تتكون لدى الأطفال إنما ينشأ من مخالطتهم لأقرانهم[34].

ويؤكد كذلك **إحسانمحمد الحسن:** أن جماعة اللعب تؤدي دورها الفعّال في التأثير على أفكارهم وممارساتهم ، وقد يكون هذا التأثير إيجابياً أو سلبياً اعتماداً على طبيعة هذه الجماعة، فإذا كانت الجماعة متزنة وواعية ومنحدرة من وسط اجتماعي إيجابي وبنّاء فإن تأثيرها يكون إيجابياً وفاعلاً ويسهم في تنمية وتنشئة الطفل التنشئة السليمة[35].

ويتوقف مدى تأثر الفرد بجماعة الرفاق على ولائه لها ومدى تقبله لمعاييرها وقيمها واتجاهاتها وعلى تماسك هذه الجماعة ونوع التفاعل القائم بين أعضائها[36] .

وهذه العلاقة بين الطفل ورفاقه ليس شرطاً أن تكون على أسس روابطها أسرية، لأن الطفل يختار الرفاق من أبناء الجيران في بداية الأمر ولا يمنع أن يكون الرفاق من أبناء الأسرة الواحدة ، ولكن تتسع الرفقة عندما يذهب الطفل إلى المدرسة وهناك يقابل الآخرين ممن هم في صفه، أو من سنه ، وتجتمع فيهم السمات والصفات التي لديه[37].

وتأسيساً على ما سبق نستطيع القول: أن جماعة الرفاق والبيئة المحيطة بالطفل لها الدور الأكبر في عملية التنشئة الاجتماعية وفي النمو الاجتماعي للطفل ، وكذلك في تشكيل وتنمية شخصيته، ولذا يشعر الطفل في وسطها بالمشابهة والمجانسة وبوحدة الأهداف والمشاعر والميول والاهتمامات والقيم، وأن هذه الجماعة تسعى إلى إشباع ميول الأطفال ورغباتهم والتي لا يمكن أن تتحقق في البيئة الأسرية والمدرسية نتيجة للضغوط الرقابية التي تمارس في المؤسستين، وخصوصاً عند تلقينهم السلبية والتنشئة الخاطئة وعدم الاهتمام بهم من قبل الوالدين يتوجهون إلى الأشخاص الذين في مثل أعمارهم وهو عالمهم الواسع الذين يجدون فيه أحلامهم وتطلعاتهم وأمانيهم بعيداً عن التوجيه والمراقبة مما يؤثر بالسلب على عملية التنشئة الاجتماعية.

ومن مبررات جماعة الرفاق باعتبارها مجالاً من مجالات التنشئة الاجتماعية ما يلي[38]:

1. تتألف جماعة الرفاق من أعضاء من نفس العمر وربما من نفس المستوى الاجتماعي والاقتصادي.
2. تتمركز حول اهتماماتها في المرحلة العمرية لجماعة الرفاق.
3. تتفاوت في سلطة أعضائها ومكانتها.
4. لا تتضمن مسؤوليات طويلة المدى بالنسبة للتنشئة الاجتماعية.

إن جماعة الأقران كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية، تعمل على تحقيق التكيف الاجتماعي، بين أفرادها وعلى تعزيز القيم الثقافية والاجتماعية السائدة، وتتعدد

جماعة الأقران بتعدد جوانب الحياة الاجتماعية، ويمكن تحديدها وفقاً للمستويات التالية[39]:

1. تعمل جماعة الأقران على تعزيز القيم الثقافية السائدة في المجتمع على وجه العموم، وعلى تعزيز هذه القيم في الوسط الاجتماعي، الذي يتكون فيه ويتشكل على وجه الدقة والخصوص.

2. تشكل جماعات الأقران مصدراً هاماً للمعلومات عند الأطفال، حيث تجرى أحاديث وقضايا متعددة، حقيقية وخيالية، تلبي طموحهم وفضولهم، وأن هذه المعلومات تنمّي فضول الأطفال المعرفي، وتشكل أساساً متيناً لانطلاق الأطفال ونموهم على المستوى المعرفي.

3. على المستوى الاجتماعي، تساعد جماعات الأقران الأطفال على تعلم السلوك الاجتماعي والأدوار الاجتماعية، التي لا تتاح لهم فرصة تعلمها في إطار الحياة الأسرية، وتختلف عن الأدوار التي تم تعلمها في الأسرة، فالطفل يتعلم في إطار جماعة الأقران، أن يؤدي دور الصديق والعدو، دور الزعيم والتابع ، دور الجندي والقائد، والأدوار المهنية المتنوعة مثل : سائق سيارة، رجل شرطة، معلم .... إلخ، وتدريجياً يبدأ الطفل بالتحول إلى كائن اجتماعي آخر إذ يتعلم أن ينفصل عن عالم الراشدين ويصبح كائناً ذا شخصية ينتمي إلى وسط ينمي لديه الإحساس بالقوة والتضامن.

ومما سبق يمكن التطرق لآثر جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية والتي تتمثل في[40]:

1. المساعدة في النمو الجسمي عن طريق ممارسة النشاط الرياضي، والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات، والنمو الاجتماعي عن طريق ممارسة الهوايات .

2. تكوين معايير اجتماعية وتنمية الحساسية، والنقد نحو بعض المعايير .

3. القيام بأدوار اجتماعية جديدة مثل القيادة .

4. المساعدة على تحقيق أهم مطالب النمو الاجتماعي وهو الاستقلال والاعتداء على النفس.

5. تنمية اتجاهات نفسية نحو كثير من موضوعات البيئة الاجتماعية.

6. إتاحة فرصة التجربة والتدريب على الجديد والمستحدث من معايير السلوك.

7. إتاحة فرصة تقليد الكبار.

8. إتاحة فرصة تحمل المسؤوليات الاجتماعية .

نتائج البحث:.

من خلال البحث في موضع تأثير جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال نسجل النتائج الآتية:

1. تبدأ عملية تنشئة الطفل منذ ولادته، وتستمر مع مراحل حياته ، إلا أنها تتم بشكل مكثف في سنوات العمر الأولى، ويستند هذا على أساس أن الطفل يولد خصب الاستعداد للتفاعل مع كل خبرة يتعرض لها.

2. تعد جماعة الرفاق بالنسبة للأطفال بمثابة القنوات والمصادر والمدرسة التي يتعلم منها كافة الأشياء التي لا يعرفها، والتي لا يستطيع أن يضع لها إجابات، وكذلك تساعدهم على اكتساب الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة التي لا تهيئها مؤسسات اجتماعية أخرى لفرصة اكتسابها.

3. كذلك تتيح جماعة الرفاق للأطفال فرصة تحمل المسؤولية الاجتماعية، بإعطائهم فرصة التعامل مع أفراد متساويين ومتشابهين معهم في اللغة والميول والتفكير والرغبات، ومن خلالها يستطيع أن يعبروا عن مواهبهم وقدراتهم وأن يشبعوا رغباتهم في الانتماء للجماعة .

4. عدم وجود الإشراف والمتابعة والتوجيه الصحيح عند اللزوم، وتنمية الاعتراف بحقوق الآخرين ومراعاتها، من قبل الأسرة والمدرسة يجعل الأطفال يتصرفون بكل حرية، نتيجة تحررهم من القيود الأسرية والسلطة المدرسية، وقد يؤدي كل ذلك إلى الانحراف والجنوح، لتسيبهم أو لعدم معرفتهم، بتأثير جماعة الرفاق على تنشئتهم.

5. تقوم هذه الجماعة بدور فعّال في التنشئة وفي النمو الجسمي والنفسي والاجتماعي للأطفال ، فهي تؤثر في اتجاهاتهم وفي إشباع حاجاتهم، وتمكنهم من القيام بأدوار اجتماعية متعددة ومتنوعة، لا يمكنهم القيام بها إلا من خلال علاقاتهم وتفاعلهم مع هذه الجماعة التي تمثل الإطار المرجعي الرئيس في حالة تغيب أو عدم وجود الضوابط الأسرية والمدرسية.

6. إن أثر جماعة الأقران في التنشئة الاجتماعية لا يقل أهمية عن دور المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية ، بل قد يتعداها في بعض الأحيان، وهذه الجماعة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية لها دورها الإيجابي أو السلبي، وهذا يتوقف على الجماعة وعلى عملية الإشراف الأسري والإرشاد والتوجيه المدرسي والتربوي، وكذلك يعتمد على مدى تكامل وتعاون بين كافة مؤسسات التربوية في المجتمع نحو هدف واحد.

التوصيات:.

وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يمكن أن نقدم التوصيات التالية :

1. التأكيد على أهمية اختيار جماعة اللعب لما لها من تأثير واضح في عملية التنشئة الاجتماعية، فإذا كانت متزنة وواعية ومن بيئة اجتماعية محافظة، فإن التأثير يكون إيجابي، وإذا كانت البيئة سلبية وتكثر فيها الانحرافات وعدم الانضباط والتقيد والتفكك ينتج عنها تنشئة سلبية وهدامة لا تستطيع التكيف مع مجتمعها، بالإضافة إلى أثرها الخطير على الفرد والمجتمع على حد سواء .

2. ضرورة التأكيد على أهمية التعاون بين الأسرة والمدرسة في توجيه ومتابعة ومراقبة واختيار الرفاق الخيرين ،ومحاولة الابتعاد عن رفاق السوء لكي لا نصل بالأطفال وخصوصاً مرحلة الطفولة المتأخرة (ما قبل المراهقة)، إلى مرحلة الانحراف والجنوح ، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة توعية الأسرة والمدرسة وباقي المؤسسات بأهمية تأثير جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال.

3. تحصين الأجيال الناشئة ضد التأثيرات السلبية التي تنعكس على تشكيل الهوية الثقافية، من خلال التكامل الفعلي والإيجابي بين الأسرة والمدرسة، وباقي المؤسسات من أجل الوصول إلى تنشئة سليمة لهم ولمجتمعهم.

4. التشجيع على تنمية الحوار والنقاش واحترام رأي الأطفال وإشراكهم في اتخاذ القرار واحترام الذات وتقديرها وإفساح المجال أمام آراءهم وأفكارهم والاهتمام بكافة ملاحظاتهم ومقترحاتهم، لكي يشعروا بأنهم لهم أهمية في أسرهم ومجتمعهم، كذلك أهمية الاستماع إليهم تساعد على معرفة ما هو سلبي وما هو إيجابي، لتفادي المشكلات والعقبات التي قد تواجههم، إضافة إلى ذلك أنها تساعدهم على نمو شخصيتهم وتطوير معرفتهم.

الهوامش:

1- عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)، الناشر المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية،1998، ص203.

2- وجيه الفرح، التنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، ط1، الوراق للنشر والتوزيع،(د – م)،2007، ص ص46-47.

3- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، ط 2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت،1998، ص 235.

4- عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)، مرجع سبق ذكره، ص205.

5- بطرس حلاق، تأثير البرامج التلفزيونية في عملية التنشئة الاجتماعية(المجتمع السوري نموذجاً)، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية، مجلة علمية محكمة دورية، المجلد23، العدد2007،2، ص99.

6- ملكة أبيض، علم الاجتماع التربوي، دار الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، 1982، ص 23.

7- فيوليت فؤاد إبراهيم وآخر، دراسات في سيكولوجيا النمو(الطفولة والمراهقة)، الناشر مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،1998، ص221.

8- وديع ياسين التكريتي وآخرون، علم النفس الاجتماعي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2012، ص223.

9- فيوليت فؤاد وآخر، دراسات في سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة)، مرجع سبق ذكره، ص221.

10- وجيه الفرح، التنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، مرجع سبق ذكره، ص48.

11- محمد الجوهري وآخرون، الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1994، ص81.

12- وجيه الفرح، التنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، مرجع سبق ذكره، ص12.

13- أحمد سالم الهمالي، البرامج المرئية الموجَّهة للطفل، مجلة البحوث الإعلامية، مجلة فصلية متخصصة تعنى بأبحاث ودراسات وسائل الاتصال الجماهيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، العدد5، السنة الثالثة، فصل الربيع1993، ص55.

14- مصطفى صالح الأزرق، علم النفس الاجتماعي، اتجاهات نظرية ومجالات تطبيقية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة،2013، ص59.

15- طلعت إبراهيم لطفي، مدخل إلى علم الاجتماع، ط 2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د- ت)، ص 136.

16- خليل ميخائيل معوض، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية،1999، ص 136.

17- محمود السيد أبو الليل، علم النفس الاجتماعي، دراسات عربية وعالمية، ط 4، دار النهضة العربية، بيروت، (د- ت)، ص ص41- 42.

18- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص73.

19- خليل عبد الرحمن المعايطة، علم النفس الاجتماعي، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص ص68 – 69.

20- معن خليل عمر وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان،1992، ص ص 193- 194.

21- فائزة عبد الله على، علاقة العوامل الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية بأساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية(دراسة تطبيقية بمنطقة الزاوية وضواحيها)، رسالة ماجستير، جامعة السابع من أبريل (سابقاً)، مركز البحوث والدراسات العليا، قسم علم الاجتماع، للعام الدراسي2002- 2003، ص ص32 -34.

22- المرجع السابق، ص34- 35.

23- حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع، ط 1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 21.

24- خليل ميخائيل معوض، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية،1999، ص 147.

25- حنان صالح عبد السلام ، أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالتأخر الدراسي والتدخل المهني للخدمة الاجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، للعام الدراسي 2007- 2008، ص ص 38- 39.

26- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 236.

27- وجيه الفرح، التنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، مرجع سبق ذكره، ص46.

28- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 234.

29- ميشيل دبابنة وآخر، سيكولوجية الطفولة، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، 1984، ص94.

30 - علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 249- 250.

31- ميشيل دبابنة وآخر، سيكولوجية الطفولة، مرجع سبق ذكره، ص97 – 98.
32- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 79.
33- المرجع السابق، ص78.
34- محمود السيد، في قضايا الطفولة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2005، ص 24.
35- إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة، ط 2، دار وائل للنشر، عمان، 2009، ص210.
36- ميشيل دبابنة وآخر، سيكولوجية الطفولة، مرجع سبق ذكره، ص93.
37- إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1996، ص92- 93.
38- عبد الله بشير فضل، مدخل إلى التربية، ط1، مؤسسة فينوس العالمية للنشر، (د- م)، 1999، ص 227.
39- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 240- 241.
40- سميح أبو مغلي وآخر، علم النفس الاجتماعي، ط1، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 52 -53.